مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 3 / 16 /06/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الرحلات الحجازية آلية للتواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)

Travels to Hidjâz: a means of science communication between the Middle Maghreb and Egypt during the two centuries (7-9 H/ 13-15 G)

أسماء بن عماره Asma ben Amara* benamara-asma@univ-eloued.dz	تاريخ المغرب الوسيط والحديث	مختبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية/ كلية العلوم الاجتماعية والانسانية/ جامعة حمه لخضر الوادي/ الجزائر
أ.د/عاشوري قمعون Achouri Guemaoun achouriguemaoun@yahoo.fr	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	مختبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية/ كلية العلوم الاجتماعية والانسانية/ جامعة حمه لخضر الوادي/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-003-036

الإرسال: 2020/05/10 **القبول**: 2020/06/08 **النشر**: 2021/06/16

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على موضوع الرحلة الحجازية كآلية من آليات التواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر خلال القرنين(7-9هـ/13-15م). من خلال التعرف إلى أهمية الرحلة في ربط هذا الجزء من المغرب بالمشرق خاصة مصر. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي يتخلله التحليل من أجل تحديد وتوثيق المادة التاريخية ومعرفة دور الرحلة الحجازية في دفع وإثراء التواصل العلمي بين البلدين، وذلك من خلال تناول أهم آليات التواصل ونشاطها الفكري والعلمي، وتوصلت الدراسة إلى أن الرحلة الحجازية كانت من أهم الروافد العلمية التي ساعدت في التبادل العلمي بين البلدين، ما دفع بالحركة العلمية وفي نمو حركة العلوم وفي إنتقال العلماء.

كلمات مفتاحية: الرحلة الحجازية؛ المغرب الأوسط؛ مصر؛ التواصل العلمي؛ ركب الحج.

Abstract: (English)

This study aims to highlight the subject of the travels to Hidjâz as a means of science communication between the Middle Maghreb and Egypt during the two centuries (7-9 H/ 13-15 G) , by knowing the importance of the trip in linking this part of west with the east, especially Egypt. The study focused on the historical approach with analysis in order to identify and document the historical material and show the role of the Hijazi journey in pushing and enriching the scientific communication between the two countries, by examining the most important mechanisms of communication and its intellectual and scientific activity. The study concluded that the Hijaz trip was one of the most important scientific tributaries that helped in the scientific exchange between the two countries, and prompted the scientific movement and the growth of the science movement with the movement of scientists, especially in the so-called educational relationship.

Keywords : Travels to Hidjâz ; Middle Maghreb, Egypt ; Science Communication ; Hadjj Carvans.

* - الباحث المُرسل: benamara-asma@univ-eloued.dz

مقدمة:

شهد المغرب الأوسط خلال القرنين(7-9هـ/13-15م)، أزهى عصوره الحضارية، ازدهرت فيه الحركة العلمية وتهيأت ظروف الازدهار العلمي والفكري فيه. وساهمت فيه العديد من العوامل، من بينها: الرحلة التي أضحت خلال هذه الفترة أحد الروافد العلمية والثقافية للمغرب الأوسط خاصة، وبلاد المغرب بصفة عامة. وكانت الرحلة الدينية أول الدوافع التي عني بها المغاربة، ووظفوها لأهداف دينية وعلمية في آن واحد. وصار لهذه الرحلات الحجازية دور كبير في ربط العلاقات بين المغرب ومختلف الحواضر المشرقية. إذ أمست آلية من آليات التواصل العلمي بينهم وبين مختلف الحواضر، خاصة مصر التي كانت بوابة المغرب نحو الحجاز والمشرق بشكل كبير، ولبيان أهمية الرحلة الحجازية لأهل المغرب الأوسط في التواصل العلمي مع مصر حصرنا الدراسة بين القرنين 7و9هجري فترة أواخر حكم الموحدين وحكم الزيانيين في المغرب الأوسط، وأواخر حكم الأيوبيين وحكم المماليك في مصر، حيث أن هذه المرحلة الزمنية مهمة في تاريخ البلدين حيث كانت من أزهى العصور الزمنية ثقافيا وعلمياً.

إشكالية البحث:

تمحورت إشكالية البحث حول مدى إسهام الرحلة الحجازية في إنتعاش وامتزاج الحياة الفكرية والعلمية بين علماء وطلبة المغرب الأوسط والعلماء والطلبة المصريين.هذه الإشكالية التي تندرج تحتها أسئلة فرعية:

- أهمية الرحلة والترحال في تاريخ المغرب؟
- كيف كان النشاط العلمي للرحلة الحجازية؟
- ما مدى تأثير الرحلة في التواصل العلمي بين البلدين؟

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في إبراز دور الرحلة الحجازية في ربط المغرب الأوسط بمصر علمياً كآلية من أليات التواصل العلمي بينهما هذه الرحلة التي كانت نافذة إنفتاح بلاد المغرب والمغرب الأوسط بالخصوص على المشرق والأندلس علميا.

المنهج المتبع:

فرض علي البحث أن اعتمد على المنهج التاريخي الذي يستند إلى التوثيق في إستقاء المادة التاريخية من خلال التحليل، والمقارنة بين الظواهر العلمية والفكرية للبلدين.

الدراسات السابقة:

لقد شكل موضوع التواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر ودول المشرق، غاية في الأهمية للباحثين سواء في الدراسات الجزائرية والمغاربية منها، أو في الدراسات المشرقية، ومن بين أهم هذه الدراسات نجد دراسة الباحث"عبد الرحمان بالأعرج"التي تناول فيها العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، وقد رأى أن التواصل شمل الجانب الثقافي سواء دينيا أو روحيًا أو فكريًا أو علميًا أو

فنيًا، وخلصت دراسته إلى أن هذا التواصل كانت له أبعاد إيجابية في الجوانب التي شملها خاصة روحيًا وعقاديًا وعلميا، أما دراستنا شملت الجانب العلمي وأبرزت أثر الرحلة إلى المشرق في إثراء التواصل علمياً مبرزة ذلك في العلاقة التعليمية والعلوم وفي إنتقال العلماء.

1. **أهمية الرحلة والترحال:**

إن المتتبع للكتب الجغرافية والرحلات المغربية التي تناولت مسار الحج نحو الحجاز، يرى أن رواد هذه الجغرافيا الوصفية رسخوا قواعد ومنهجا وموضوعاً تجاوز الأبعاد البراغماتية. والأرجح أن الاتجاه في التأليف حسب ما ذكره **لطفي دبيش** لم يصدر عن مجرد رغبة في معرفة طرق الحج كما يذهب عامة المؤلفين إليها، والتي أضحت معروفة لا يحتاج طالب الحج للاطلاع على كتاب ليعرفها. فالحاج المغربي كان يخرج في ركب كبير يقوده أدلاء عارفون (دبيش،ل،21،2010). إنما صدر التأليف نحو المعرفة التي امتازت بها أمم الإسلام في عصر النهوض، وهو مظهر من مظاهر الشعور بالعزة الذي يصاحب الأمم الصاعدة. لذا، كان الدافع هو المعرفة ذاتها أولاً، وتلبية احتياجات المجتمع والدولة ثانيا (مؤنس،ح،1986،17-20).

إن موضوع الرحلة لم يكن جديدا على المغاربة والأندلسيين، ولم يكن طارئاً على العرب بشكل عام. فقد عرف العرب الترحال في شبه الجزيرة العربية ومع المناطق المجاورة قبل ظهور فجر الإسلام. لكن مع بزوغ الدعوة الإسلامية، توسعت آفاق الرحلة، وزادت دوافعها حتى بلغت أقصى ذروتها. فأصبحت في نظر الكثيرين مسألة حتمية. لا بّد منها في سبيل طلب العلم، والاستفادة والاستزادة من معرفة العلماء. وقد أشار عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) عن ذلك في مقدمته (2010، 493) التي قال فيها: (فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال).

كانت الرحلة تمثل مظهراً من مظاهر الحياة الحضارية في مختلف العصور الإسلامية. وكان المشرق أكثر المناطق جذباً للرحالة والعلماء، بحكم أنه كان يحتضن الأماكن المقدسة، ولا سيما منطقة الحجاز (طه،ع، 2005، 73،74). إذ كانت رحلة الحج أول العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق إلى الانتقال لزيارة الحرمين الشريفين، وأداء فريضة الحج الذي كان ولا يزال مقصدا يتشوق إليه المسلمون، وليس مقتصرا على علمائه وفقهائه فقط. إذ كان مركز استقطاب لكل المسلمين.

لقد ساهمت فريضة الحج في تطور الحركة الجغرافية. حيث لم تُثْرِ الرصيد الإسلامي فحسب، بل شاركت في الإبداع الجغرافي بشكل عام. لقد استحدث الإسلام ثلاثة أنواع من الرحلات أضيفت إلى رصيد نوعية الرحلات المعروفة، وهي: رحلة الحج، والرحلة في طلب العلم، ورحلة التجوال، إلى جانب الرحلات التي اشتهرت من قبل، مثل: رحلة الحرب ورحلة السفارة ورحلة التجارة (النبراوي،ن، 275).

وقد حظيت أماكن وحواضر أخرى باهتمام الرحالة المغاربة وغيرهم، كالقاهرة والإسكندرية وبغداد والبصرة والكوفة ودمشق وحلب. صارت مقصدهم بعد الانتهاء من أداء فريضة الحج. (فالرحلات تضمن التواصل بين الشعوب والمجتمعات، وتحقق نوعا من التلاقي الثقافي، فتفتح ثقافة على ثقافة أخرى، فتكون الفوائد مشتركة تفيد كل الأطراف. فهي سلوك ثقافي مطلوب في المجتمع العربي الإسلامي، ومصدر ومنبع من منابع المعرفة يفلح فيه من يرتاده، فيتميز علميا وأخلاقياً بها (لطفي، 2010، 47).

2. **رحلة الحج في المغرب الأوسط ما بين(7-9هـ/13-15م) ركب الحج في المغرب الأوسط:**

إن الحديث عن رحلة الحج في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، يؤكد لنا أن المغرب الأوسط خلال القرنين: السادس والسابع الهجريين، هو جزء لا يتجزأ من بلاد المغرب كلها. فقد عرف أهل المغرب الأوسط الرحلة إلى المشرق، وبصفة خاصة إلى الحجاز، وأعطوا لها عناية كبيرة. فالحياة الفكرية ببلاد المغرب أفرزت نشاطاً علمياً من نوع متميز. ولا سيما بعد فترة حكم المرابطين والموحدين من بعدهم. إذ استعادت فيه بلاد المغرب انتعاشا علميا وثقافيا كان مقصد الحج أحد دعائمه.

فرحلة الحج في المغرب الأوسط لم تكن وليدة هذا القرن (ق7هـ/13م)، بل ظهرت منذ قرون سابقة. فمع سيطرة الرستميين على المغرب الأوسط، وجعلهم تيهرت وعاصمة لهم، استقرت الأوضاع وعم الهدوء، وتوفرت أسباب الرحلة إلى الحج. وممن قصد بيت الله الحرام: أبو اليقظان محمد بن الإمام الرستمي الثالث، أفلح بن عبد الوهاب(208-258هـ) الذي خرج في قافلة من الناس سنة 238هـ (المالكي،54) ، واستمرت الرحلات إلى مكة من بعدهم على عهد الدولة الحمادية (408هـ/547م)، رغم انقطاعها في فترات بسبب الحروب والأوبئة. ومع نجاح الموحدين في السيطرة على بلاد المغرب والأندلس، وضمهما تحت رايتهم، أصبح المغرب الأوسط يتكون من ولايتين خاضعتين لسلطتهم هما: بجاية في الشرق، وتلمسان في الغرب. فنَعِمَ المغرب بفترات هدوء واستقرار أمني. وفر هذا الجو بدوره أسباب الرحلة نحو الحجاز، أكدته كتب التراجم والرحلات. فتأسس أول ركب حج مغربي، هو الركب الصالحي، الذي تأسس على يد الشيخ الإمام أبي محمد صالح الماجري المتوفى سنة 631هـ. وكان هذا الركب مؤسسة قائمة بذاتها (المنوني،م، 1953، 8)

كان أول ركب رسمي في المغرب الأوسط انطلق سنة 703هـ/1303م، هو الركب الذي قام به السلطان أبو يعقوب يوسف الناصر(685-706هـ) المريني، والذي اكتسى أهمية كبيرة. حيث كان أكثر تنظيماً. وضم فرقة عسكرية وعددا كبيرا من أهل الصلاح والعلم. كما أرسلت معه أموال وهدايا كثيرة إلى أهل الحرمين الشريفين (المنوني،م، 2000، 173).

وفي سنة 704هـ/1304م، نظم السلطان يوسف ركباً رسميا آخر ، انطلق من تلمسان. وجعل إمارته لأبي زيد الغفاري، وبعث معه هدايا لصاحب مصر يوصيه على الركب (المنوني،م، 2000، 173)، أما الركب الآخر، فكان في سنة 724هـ/1324م بعد رفع الحصار المريني الأول على تلمسان.

وضم كبار الدولة الزيانية، منهم: حاجب السلطان أبي تاشفين هلال مولى يحي بن يوسف (التلمساني،إ،م،2008، 301).

وفي سنة 737هـ/1332م، بعد الحصار المريني الثاني على تلمسان، أشرف السلطان أبو الحسن على تجهيز ركب الحج بنفسه، وكان ذلك في عام 738هـ/1332م. كان ركباً جليلاً طارت شهرته آفاق المغرب والمشرق معا،و حجت فيه الأميرة المرينية الحرة، مريم، زوجة والد أبي الحسن. وضم هدايا كبيرة لحكام مصر والمسجد النبوي، ونظم في عهده ركب في أعوام: 704هـ و745هـ و748هـ (المنوني،م، 2000، 177-200)، ومع استعادة بني زيان الحكم أواسط القرن الثامن الهجري، لم تشر المصادر إلى تنظيم أركاب حج بالصورة الرسمية التي ذكرناها من قبل. ورغم ذلك، لم تتوقف رحلات الحج الفردية والجماعية حتى القرن التاسع الهجري الذي عرف ظهور الزوايا التي أشرفت على تنظيم أركاب الحج في فترات عدة. وهو ما أوردته المصادر التاريخية التي أرخت لتلك الفترة (معمر محمد، 294،2017).

ما نخلص إليه أن رحلة الحج في المغرب الأوسط كانت أحد الروافد العلمية والثقافية للحركة العلمية، منذ فترات سابقة فعلى الرغم من تدهور الواقع الثقافي فيه حيث عرف تدهورا في الحياة الفكرية والثقافية عمت حتى مختلف حواضر المغرب ككل (برشان محمد، 2013 ،197)، نتيجة للأوضاع السياسية المظطربة، إلاّ أنه سرعان ما إستعادت الحياة الفكرية العلمية نشاطها مع القرن8 حتى 9هجري، هذا القرن الذي عرف إنتعاش علمي وفكري في المغرب والمشرق ككل.

3. مصر بوابة المغاربة نحو الحجاز:

نلاحظ من خلال كتب التراجم والجغرافيا والرحلات التي توفرت لدينا، أن مصر كانت ولا زالت أول محطة كل المغاربة نحو المشرق. فعلى مر المراحل التاريخية، لقي ركب الحج المغربي، أهمية بالغة لدى الحكام ولدى كافة فئات المجتمع. إذ اعتنى الحكام والسلاطين في دول المغرب برحلة الحج، وبذلوا في سبيل إنجاحها كل ما يستطيعون من المال وتأمين الطرق، بالإضافة إلى المراسلات وتبادل الهدايا بين السلاطين في مصر والشام والحجاز لإنجاحه (ابن جبير، 14،16).

لقد صارت مصر، بحكم موقعها الجغرافي، أول محطة ينزل بها الحجاج المغاربة في المشرق. وكانت الإسكندرية أولى مدينة يتوقفون فيها. وقد قال عنها الرحالة العبدري (العبدري، 210،2005): "الإسكندرية مدينة الحصانة والوثاقة، بلد الأشراف اللامع والطلاقة وطلاوة المنظر وحلاوة المذاقة"، فقد كانت ترسم طريق الحج برّاً وبحراً من بلاد حاحا(التي تقع في الجزء الغربي من اقليم الصويرة الواقع في الوسط الغربي من المغرب) إلى الإسكندرية. ويتم على طول هذا الطريق تأسيس محطات توقف لإيواء الحجاج.

وقد ساعد وقوع مصر في طريق الحج في إثراء اللقاء الفكري وفي الحركة العلمية. حيث كانت مركزاً يلتقي فيه طلاب العلم بمن يفد إليهم حاجاً من الأساتذة والشيوخ المغاربة والأندلسيين. لهذا، كانت مصر قبلة لكل حاج وطالب علم، ومأوى لكل رحالة. هذا ما جعل السلاطين والأمراء المماليك

والتجار وأصحاب الخير يتطوعون في إقامة العديد من المنشآت الدينية، وحبس الأوقاف عليها، خدمة للعلم وطلبته.

وقد لعبت المساجد في مصر دوراً هاما في الحياة العلمية. فلم يقتصر دورها خلال هذه الفترة على الصلاة وقراءة القرآن والخطبة وصلاة الجماعة، بل تعداه إلى أبعد من ذلك. فكان المسجد مكاناً ومنبراً للعلم والعلماء، يبثون من خلاله العلوم الدينية والأدبية والعقلية. وهذا كما ذكرنا نظراً لاهتمام السلاطين والأمراء المماليك به. فكانوا ينزلون إلى هذه المساجد لمشاركة العلماء في حلقاتهم العلمية. ومن هذه المساجد نذكر : مسجد الأزهر الذي كان جامعا وجامعة. قبلة لكل عالم وطالب علم. تخرج منه العديد من العلماء (العنزي،أ، 2010 ،192)، يقول **المقريزي** (المقريزي،أ،57، 1997) عنه: (... فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن الكريم، ودراسته وتلقينه، والاشتغال بأنواع العلوم، والفقه والحديث، والتفسير والنحو، ومجالس الوعظ، وحلق الذكر، فيجد الإنسان، إذا دخل هذا الجامع، من الإنس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره. وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس، إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى).

فالجامع الأزهر جذب إليه كبار العلماء والشيوخ المغاربة والأندلسيين، الذين كانوا يتطلعون دوما إلى شرف الجلوس والتدريس والأخذ عن علمائه. ومنذ أواخر القرن السابع إلى التاسع للهجرة، قلما نجد عالماً أو أستاذاً أو طالب علم لم يجلس في الأزهر، سواء كان محاضراً أو طالباً لعلم من العلوم النقلية أو العقلية. فمن علماء المغرب الأوسط الذين وفدوا على مصر، نذكر: العلامة ابن خلدون، الذي لقي نصيبا وافرا من النشاط العلمي. حيث تصدر لنشر العلم وإقرائه بالجامع الأزهر ، وأقبل الناس إليه يستمعون. والشيخ يحي بن محمد بن أحمد العجيسي البجائي المغربي الذي تصدر لتدريس المالكية في الجامع المؤيدي بجوار باب زويلة (العنزي،أ،2010 ،195).

4. النشاط العلمي للرحلة الحجازية(محاولة في فهم الأثروالتأثير):

تكتسي هذه النقطة من الدراسة أهمية كبيرة. فالرحلة الحجازية إلى المشرق، كانت لها أبعاد عدة على بلاد المغرب والمشرق معا، خاصة في المجال العلمي والفكري. فقد كانت أحد روافد الحركة العلمية، ساهمت في الالتقاء والتوافق، وفي تجسيد مفهوم التواصل والتلاقح العلمي والفكري من خلال حلقات العلم التي صارت مناسبة للطلبة والعلماء للاستزادة في طلب العلم. وبما أن موضوع الدراسة يتناول الرحلات الحجازية كآلية للتواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر، كان لا بد علينا في هذه النقطة التطرق إلى أثر الرحلة وتأثيرها في التواصل العلمي بين البلدين من خلال التطرق إلى أهم مظاهر هذا النشاط.

4. 1 لقاء العلماء:

كان من مظاهر التواصل العلمي بين البلدين، وكدافع من دوافع الرحلة الحجازية، هو لقاء العلماء. وخلال هذه الفترة، عرف المغرب الأوسط ومصر حركة علمية نشطة، كان من مظاهرها كثرة العلماء في كل فرع من فروع العلم والثقافة الإسلامية، فبرز في تلك الفترة عدد من العلماء اشتهروا على مرّ التاريخ بما لهم من ذيوع الذكر، وتداول المصنف. وكان لهم أثر في استقطاب عدد من طلاب العلم والعلماء مما كان

له أثر كبير في ازدهار وتنمية التواصل بين البلدين. فهذا المظهر كان آلية من آليات التواصل العلمي بين البلدين، أسهمت الرحلة بدور كبير فيه. ولكي تتضح الفكرة، يمكن ذكر أمثلة على ذلك من خلال ذكر عدد من علماء مصر والحجاز الذين كان لهم دور بارز في ربط الصلات العلمية بين البلدين. ومن أولئك العلماء، نذكر:

- ✓ أبا الطاهر السلفي (576 – 478)هـ/ 1085 – 1180م (الفاسي،ت، 1997، 371).
- ✓ الفقيه أبا الطاهر بن مكي بن عوف الإسكندراني (الذهبي،م،أ،1997، 122)
- ✓ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي(ت600هـ/1203م) الي كان واعظاً وخطيبا مشهوراً عند الناس في مصر (المغراوي،م ،264)
- ✓ ابن دقيق العيد(ت702هـ/1197م) (ابن كثير،ع،2004، 952)
- ✓ تقي الدين السبكي(683-756هـ/1284-1355م)، الفقيه الشافعي الصوفي المحدث الحافظ المفسر (الزركلي،2002، 302)
- ✓ الشَّيخ خَلِيل بن إسحاق الجندي(ت767هـ/1374م) (الأتروشي،م،2007، 76)
- ✓ شرف الدين الدمياطي(ت705هـ/1306م) (صلاح الدين،م، 1974، 409)
- ✓ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1449م) (الحنبلي،1986، 270)
- ✓ التقي بن فهد(ت871هـ/1466م) (السخاوي،ش، 1992،281)
- ✓ السخاوي(902هـ/1497م) (الشوكاني،م،84)
- ✓ جلال الدين السيوطي(ت911هـ/1505م) (السخاوي،ش، 1992، 65)

2 . 4 الحصول على السماع:

هو أن يحصل الطالب على لفظ من شيخه، سواء حدثه أو أملى عليه من كتاب يقرأه أو من محفوظاته (اليحصبي، 69،68،1970) وعليه أن يوضح ذلك فيقول :"سمعت على الشيخ، أو سمعت من الشيخ، حدثني الشيخ، أو أخبرني الشيخ، أو أنبأني، أو أنبأنا الشيخ". فالسماع يعد أول طرق الأداء أو التحمل تاريخياً، وهو على طريقة الرعيل الأول من الرعاة. فهو يمثل امتداداً لتحمل الحديث وأدائه على مر العصور الإسلامية. كما يعتبر أعلى صور السماع منزلة، وأدعى إلى الثقة في المادة العلمية المتحصلة(سلامة،2016، 3).

فقد، حرص علماء وطلبة العلم المرتحلون إلى المشرق الإسلامي من المغرب الأوسط للحصول على السماع من شيوخ وعلماء مصر والشام والحجاز والعراق،و على نيل سماعات جديدة، خاصة بعد حصولهم على مرتبة علمية متقدمة في بلدانهم، وذلك من باب تواصلهم العلمي. فغالبا ما توجد مادة لم يتسن لهم سماعها، أو مادة من نتاج جديد حرصوا على سماعها لمواكبة التطورات العلمية. لذلك، حرص علماء وطلبة العلم في المغرب الإسلامي بشكل عام، والمغرب الأوسط خاصة، على السماع من الشيوخ والفقهاء في كل حاضرة يمرون بها، خاصة الإسكندرية ومصر التي كانت أولى محطة لهم. ونفس الشيء بالنسبة لعلماء وشيوخ كل حاضرة حرصوا على السماع من الطلاب الوافدين عليهم، أتوا للسماع منهم

(المشهداني،ع، 2008، 162) بعدما وجدوهم مؤهلين لذلك. ومن أهل المغرب الأوسط الذين حصلوا على السماع من علماء مصر ، نذكر:

محرز بن محمد الوهراني(575هـ/1179م) نزيل مصر وأشهر علمائها. سمع على عدد من علمائها، وتولى عددا من المناصب فيها (الزركلي،، 2002،19)، وأيضا ميمون بن جبارة(584هـ/1188م) الذي روى عن أبي عبد الله بن عبد الحق (الذهبي، 1990،792)، وأبا زكريا يحي بن علي الزواوي(ت611هـ/1214م) الذي سمع في مصر ، وتولى منصب حاكم في عدة مدن أندلسية ومن ثم بجاية، إلى أن قتل بها (الغبريني،2007،49)، ومنهم زيد الدين محمد الزواوي(681/589هـ-1281/1193م) الذي سمع عن الشيخ أبي القاسم عيسى (الصفدي،ص، 2000،431)، وجمال الدين أبا محمد الجزائري(682/601هـ-1283/1204م) الذي أخذ عن أصحاب السلفي، وعن الشيخ بن دحية وأبي الحسن السخاوي، وأجاز للشيخ شمس الدين الذهبي (الصفدي،ص، 2000،671)، والمزالي محمد بن موسى بن النعمان(683/606هـ-1284/1209م) الذي قدم الإسكندرية، وأخذ عن الشيخ الحراني والشيخ أبي القاسم الصفراوي وأبي الفضل جعفر الهمذاني. وفي القاهرة سمع عن أبي الحسن الصابوني (الصفدي،ص، 2000،89).

3. 4 الإجازات العلمية:

تعد الإجازات العلمية من أهم العوامل التي ساعدت في تطور ونمو الحركة العلمية في بلدان المغرب والمشرق الإسلامي. فالإجازة في اللغة، هي مصدر أجاز ، بمعنى أعطاه الإذن وأجاز له: أي أذن له (أبادي،ف،506). وهي مشتقة من التجوز، وهو التعدي (ابن منظور،330)، أما عند المحدثين، فهي طريقة من طرق التحمل. وهي الطريقة الثالثة بعد السماع والقراءة من الشيء. وهي أعم لأنها عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه برواية مؤلفاته (الفاسي،م، 2004، 325).

والإجازة في الأصل كانت تعود إلى الحديث، حيث كان رجال الحديث يضعونها في المرتبة الأولى في تحمل الحديث. وانتقل هذا التقليد من بعده إلى بقية العلوم الأخرى. وتكون الإجازة بأساليب وأنواع مختلفة لا بد فيها أن تتضمن اسم الشيخ الذي منحها، والكتب التي أجاز الطالب فيها (النبرواي،ف، 2012، 278). ففي هذا يقول القلقشندي (القلقشندي، 1992، 222):"جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس، أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرس ويكتب له بذلك. والإجازة تكون بالفتيا والتدريس والرواية وعرضات الكتب وغير ذلك". وقد ذكر الحافظ السلفي الغرض من الإجازة فقال (الأصبهاني،أ، 1993،33،34):" وفي الإجازة كما لا يخفى على ذي بصيرة وبصير، دوام ما قد روي وصح من أثر ونقاوة بهائه وصفاته وبهجته وضيائه، ويجب التمويل عليها والسكون أبداً إليها، من غير شك في صحتها، وريب في فسحتها. إذْ أعلى الدرجات في ذلك السماع ثم المناولة ثم الإجازة..."

فقد حدد علماء الحديث عدة أنواع للإجازة، سأحاول أن أذكر هذه الأنواع مبرزين دورها في التواصل الفكري بين البلدين:

أ- إجازة معين في معين(سلامة، 2016،14).

ب- إجازة معين في غير معين (البغدادي،أ،334).

ت- إجازة المجاز(بدر الدين،88،87).

ث- الإجازة العامة(الستيتو،أ، 146،145،2019).

وإلى جانب ذلك، هناك الإجازة بالاستدعاءات، وهي أن يطلب أحد العلماء أو طلبة العلم إلى أحد الشيوخ المشهود لهم بالعلم أن يجيزه، لربط الصلة العلمية وتحقيق الانتساب، وقد تطورت هذه الاستدعاءات حتى أصبح لها فهارس مستقلة في القرن7ه/14م. فنجد مثلا نصوصا لهذه الاستدعاءات" ترفع إلى مجموعة من العلماء في الإجازة، فيكتب كل واحد منهم إجازة منفردة تستفيد منها الأسماء المسجلة، وتجمع هذه الإجازات إلى بعضها، يتصدرها نص الاستدعاء، فتكون فهرسة "(الترغي،ع، 93،1993).

وأول الاستدعاءات في المغرب الإسلامي، الاستدعاء الذي حمله ابن عربي معه لأمير المؤمنين يوسف بن تاشفين إجازة من الإمام الغزالي. كما استجاز الحافظ السلفي الأمير تاشفين بن علي بن يوسف سلطان المغرب، وكتب له كتاباً أنفذه إليه. ومن أشهر الاستدعاءات التي كانت عاملاً في ربط الصلة العلمية بين المغرب والمشرق، الاستدعاء الذي حمله ابن رشيد السبتي، واشتهر باستدعاء ابن رشيد الأكبر، حملَ قرابة مائة اسم من علماء سبتة والمغرب والأندلس لطلب الإجازة من علماء المشرق، وتوالت الاستدعاءات على مر الفترات الأخرى، حملت أسماء الأعلام المستجيزين من علماء المشرق. حيث أمدتنا بأسماء الأعلام المستجيزين وبشيوخ العلم المجيزين، فقد أسهمت هذه الاستدعاءات منذ وقت مبكر في الاحتكاك الثقافي والتواصل العلمي بين المشرق والمغرب، وكان لها أثر في تصوير الحالة العلمية بالبلاد المغربية والمشرقية على السواء (الستيتو،أ، 147،146،2019).

خاتمة

قد تناول البحث الرحلة الحجازية كآلية من آليات التواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر خلال القرنين7-9هجري، هذه الدراسة التي حاولنا الوقوف فيها على أهم مظاهر وعوامل هذا التواصل مع ذكر أهم التأثيرات المتبادلة بين البلدين، فالرحلة شكلت نواة التلاقح العلمي الثقافي بين البلدين، خاصة مع وجود الأرضية المهيئة التي جذبتهم دون أن نتغافل عن أهمية العوامل الأخرى، فقد شكلت الحياة الثقافية خلال هذه الفترة عاملا في ارتحال العلماء وطلبة العلم إلى المشرق عامة، ومصر خاصة، باعتبارها كانت منطقة عبور إلى الحواضر الأخرى، وقد أسفرت هذه الدراسة على مجموعة من النتائج هي كما الأتي:

- أن الرحلات الحجازية الى المشرق كانت من أهم الروافد العلمية التي ساعدت في التواصل العلمي مع المدن المشرقية خاصة مصر.
- مصر تعتبر أولى الحواضر التي استقطبت أهل المغرب الأوسط وشكلت فيما بينها علاقات علمية وفكرية لمدة قرون متواصلة.
- النشاط العلمي للهاته الرحلات كان له ثمار على الواقع العلمي للبلدين وفي نمو حركة التبادل العلمي(خاصة في العلاقة التعليمية).

- كما توصي هذه الدراسة الباحثين والدارسين، أن يوجهوا دراستهم نحو هذه المواضيع أكثر، لأن هذا الجزء من المغرب يفتقر لدراسات متخصصة في تاريخ العلاقات مع مصر في هذه الفترة وما قبلها.

المصادروالمراجع

- **الكتب**

- أبادي، فيروز(محمد نعيم العرقسوسي). (2005). **القاموس المحيط**. مؤسسة الرسالة.
- ابن جبير. (ب.د.ت). **رحلة ابن جبير** ، بيروت: دار صادر .
- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل. (2004) . **طبقات الشافعية**. بيروت: دار المدار الإسلامي .
- ابن منظور، محمد جمال(عبد الله الكبير وأخرون). (ب.د.ت). **لسان العرب** .القاهرة: دار المعارف .
- ابن منظور. (ب.د.ت). **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.
- الأتروشي، محمد شوكت عارف. (2007). **الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي(567-648هـ/1171-1250م)**، دار الجدلة .
- أحمد، بوسعيد. (2018/2017). **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والاسلامية، جامعة احمد دراية، أدرار، الجزائر.
- الأصبهاني، أحمد بن محمد السلفي (عبد الغفور عبد الحق). (1993). **الوجيز في ذكر المجاز والمجيز** . السعودية: مكتبة دار الإيمان.
- بدر الدين، أبو عبد الله(محي الدين عبد الرحمان رمضان). (ب.د.ت). **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**. دمشق: دار الفكر.
- البغدادي، أبو بكر الخطيب. (ب.د.ت). **الكفاية في علم الرواية**. دار المعارف العثمانية.
- الترغي، عبد الله المرابط. (1993). **فهارس علماء المغرب المستوطنين بالمشرق منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة،منهجيتها-تطورها-قيمتها العلمية**،ط1، تطوان: منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية.
- التلمساني، ابن مرزوق أبو عبد الله(سلوى الزاهري). (2008). **المناقب المرزوقية** . منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- الحنبلي، ابن عماد عبد الحي أحمد بن محمد العكري(عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط).(1986). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. دمشق: دار ابن كثير .
- دبيش لطفي. (2010). **التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية من خلال مدونة الجغرافين المسالكيين والرحالين العرب**، تونس: مركز النشر الجامعي .
- ذنون طه،عبد الواحد. (2005). **الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق**. دار المدار الإسلامي.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(عبد السلام تدمري) .(1990). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. دار الكتاب العربي
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(بشار عواد معروف ومحي هلال سرحان) .(1997). **سير أعلام النبلاء**. بيروت: مؤسسة الرسالة .
- الزركلي،خير الدين.(2002). **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، بيروت: دار العلم للملايين.
- الستيتو،أحمد الطيب. (2019). **الأثر الفكري والعلمي لمشاهير علماء المغرب المستوطنين بالمشرق الى عصر محمد بن سليمان الروداني(ت1094هـ)**،ط1، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمان شمس الدين. (1992). **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**،ط1، بيروت: دار جيل.
- الشهروزي، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن. (ب.د.ت). **مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث**. بيروت: دار الفكر المعاصر.
- الشوكاني، محمد بن علي. (بلا تاريخ). **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**. دار الكتاب الإسلامي.

- الصفدي، صلاح الدين بن خليل. (2000). **الوافي بالوفيات**. دار احياء التراث العربي.
- صلاح الدين،محمد بن شاكر(إحسان عباس). (1974). **فوات الوفيات**. بيروت: دار صادر.
- عبد الرحمن ابن خلدون. (2010). **مقدمة ابن خلدون**. دار ابن الجوزي.
- العبدري، أبو عبد الله(علي إبراهيم الكردي). (2005). **رحلة العبدري**. دار الطباعة للنشر والتوزيع.
- العنزي،أحمد شامخ الحميد. (2010). **الحياة الفكرية في العصر المملوكي الثاني في مصر والشام والحجاز923/784هـ-1384-1517م دراسة تحليلية نقدية علمية**. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي(محمد أبي شنب). (2007). **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**. الجزائر: دار البصائر .
- الفاسي، أبو الطيب التقي(محمد الصالح بن عبد العزيز). (1997). **ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**. مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي.
- الفاسي، محمد جمال الدين(مصطفى الشيخ مصطفى). (2004). **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**. مؤسسة الرسالة .
- القلقشندي، أبو العباس أحمد. (1992). **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**. دار الكتب المصرية.
- المالكي، إبن الصغير. (ب.د.ت). **أخبار الأئمة الرستميين**.
- المشهداني،علياء هاشم ذنون. (2008). **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس هجري الثاني عشر للميلاد**،ط1، المغرب: رؤية للنشر والتوزيع.
- المغراوي، محمد بن عبد الرحمن. (ب.د.ت). **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**. القاهرة : المكتبة الاسلامية .
- المقريزي، أحمد بن عبد الله. (1997). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**. القاهرة : مكتبة مدبولي.
- المنوني،محمد. (1953). **من حديث الركب المغربي** . تطوان : مطبعة المخزن.
- المنوني،محمد. (2000). **ورقات من حضارة المرينين**،ط3، القاهرة : منشورات كلية الأداب .
- مؤنس،حسين. (1986). **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**،ط2، القاهرة : مكتبة مدبولي.
- النبراوي،نجلاء سامي. (ب.د.ت). **الحج والجهاد بالمغرب والأندلس منذ بداية عصر المرابطين وحتى سقوط غرناطة(440-898هـ/1069-1492م)**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة .
- النبرواي،فتيحة عبد الفتاح. (2012). **تاريخ النظم والحضارة الإسلامية**،ط1، عمان: دار المسيرة.
- اليحصبي، أبو الفضل عياض. (1970). **الألماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**،ط1، القاهرة : دار التراث الإسلامي.

- **المقالات**

- بن معمر، محمد. (2017). **رحلات الحج من المغرب الأوسط إلى مكة المكرمة خلال العصر الوسيط**، مجلة الحضارة الإسلامية،(1)، 279-294.
- تهاني، سلامة. (ديسمبر, 2016). **طرق التعليم والإجازات العلمية في المغرب(540-668هـ/1145-1269م)**، المجلة الليبية العالمية،(5)،3-28.
- محمد، برشان. (جانفي, 2013). **الحركة العلمية في الزوايا-الزاوية الزيانية أنموذجا-**، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، (2و3)، 197-212.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الجداول والبيانات

الجدول رقم: 1عنوان الجدول : ملاحظات حول التواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر فترة الدراسة - الإختلافات-

القرن 7هـ/13م	8-9هـ/14-15م
- هذا القرن عرف في النصف الأول حكم الموحدين وبداية حكم الحكم الزيانين في النصف الثاني بالنسبة للمغرب الأوسط. - نفس الأمر بالنسبة لمصر عرفت نهايات حكم الدولة الأيوبية وحكم المماليك بداية من(648هـ/1250م). - لم نلمس خلال هذه الفترة تبادل علمي، فكل ما وجدناه مجرد إشارات لرحلات بعض علماء المغرب الأوسط، رغم أن الدولة الموحدية كانت على قاعدة ثقافية فكرية. - الرحلة الحجازية كان لها أثر وتأثير أكبر خلال القرنين 8و9هجري، هذه الفترة التي عرفت إزدهار فكري وعلمي، فالعلاقة التعليمية خلال هذا القرن كانت أقل تنظيما من القرون التي تليها. لأنها فترة تغيير موزاين القوى في المغرب والمشرق وحتى الأندلس.	- عرفت هذه الفترة (ق8-9هـ) أوج حكم الزيانيين في المغرب الأوسط والمماليك في مصر، حيث شهد إرتحال الكثير من العلماء والطلبة مقارنة بالقرن السابق، يعود هذا للقيمة العلمية التي كانت عليها الرحلة الحجازية. - أصبحت رحلة الحج أكثر تنظيمًا بإستحداث ما سمي بركب الحج، هذا الركب الذي كان مؤسسة قائمة بذاتها إهتم به الحكام المغاربة والمصريين. - كما شهدت هذه الفترة مراسلات بين السلاطين تجسدت في هدايا ورسائل، كالهدايا التي أرسلها السلطان المريني أبو الحسن إلى سلطان مصر ضمن الركب الشهير الذي كان عام738هـ/1332م. - لمسنا التبادل العلمي بين البلدين خلال هذه الفترة من خلال الأثر والتأثير للعلماء المرتحلين في التعليم وفي العلوم وفي كل ما يتعلق بالعلاقة التعليمية.

المصدر: (بتصرف).....